الفصل السادس

(أ) الديانة الإسرائيلية

موسى:

هو نبي الله الذي أرسله بعد أن تربى في بيت فرعون إلى بني إسرائيل ليخرجهم وينقذهم من ظلم فرعون ومَلئه، ومجمل قصته أن أمه ألقته في أليم ولكن الله نجاه بأن أخذته امرأة فرعون، ثم بعد أن كبر قتل مصريًا انتصارًا لرجل من قومه بنى إسرائيل، وشاع الخبر وأراد فرعون قتله، فهرب موسى وسكن أرض مدين وتزج ابنة شعيب بن صفوره بعد قصة استسقاء لها ولأختها، وبعد أن قضى أجلاً وخرج بأهله ظهرت له نار من شجرة تشتغل، وخاطبه الله وأمره أن يذهب إلى فرعون وأن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر.

الله:

تقول التوراة في أسفارها: أن موسي عندما رأى النار ظهر له ملاك، وسأل موسي الملاك عن اسم الله، فقال له الملاك أن اسم الله هو (يهوه)

إله إسماعيل، وإسحق، ويعقوب. ومن أسمائه (آهيا)، و(أُلوهيم)، وكل هذه الأسماء تعطي معنى وصفات (الله– القادر الكافي).

الوصايا العشر:

وبعد أن خرج موسى بقومه، ذهب لمناجاة ربه، وآتاه الله الكمات العشر؛ وهي أول التوراة، وتتلخص فيما يأتي:

١– أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.
٢– لا تضع لك تمثالاً منحوتًا، ولا صورة مما في السماء من فوق، ومما في الأرض من تحت، ومما في الماء تحت الأرض، ولا تسجد لهن، ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي، واصنع إحسانًا إلى الآلاف من محبي وحافظي وصاياي.
٣– لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً.
٤– اذكر يوم السبت –ومعنى السبت الراحة– لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما يوم السبت ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت، وابنك، وعبدك، وأمتك، وبهيمتك، ونزيلك الذي داخل أبوابك.

٥- اكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض حتى يعطيك الرب إلهك أبناء بررة.

٦- لا تقتل.

٧- لا تزن.

٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠- لا تشته بنت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره.

شريعة موسى:

وقد دونت شريعة موسى الأصلية في (التوراة)؛ وهي عبارة عن أسفار دونها الأحبار والكهنة بعد موسى، فمنها من ناله التحريف، والتبديل، والتغيير، ومنها من ضاع أثناء التيه، ولكنهم قسموا التوراة إلى أسفار مقدسة نسبوها إلى الله، وأسفار نسبوها إلى الأحبار والعلماء.

الأسفار:

١- سفر التكوين: ويحوي تاريخ الخليقة، وقصص الأنبياء من آدم وخروجه من الجنة إلى إسحق عليه السلام، وإشارة إلى يعقوب ويوسف.

٢- سفر الخروج: ويقص التاريخ ابتداءً من موت يوسف إلى خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشرة.

٣- سفر اللاوين: وهو النظام التشريعي، وبه تفصيل عن تقديم الذبائح، والمحرقات، والقرابين، ورسم الكهنة.

٤- سفر العدد: يحوي عدد بني إسرائيل، وأنسابهم، وشجرة القبائل الإسرائيلية. كما يروي قصة التيه في الصحراء إلى أن وصلوا إلى أرض موآب، ثم أرض الميعاد.

٥- سفر التثنية: ويحوي كلمات موسى الأخيرة، وخبر وفاته، ووصيته.

وهذه هي الأسفار الخمسة التي نسبوها إلى موسى عليه السلام، أما باقي الأسفار فهي: (يشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني، وعزرا، ونحميا، وأستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الإنشاد، وأشعياء، وأرمياء، ومرائي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبيديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصنفيا، وحجي، وزكريا، وملاخي، (وهذه الأسفار وعددها أربعة وثلاثون سفرًا، وكلها بين نشيد وترتيل، والأسفار كلها قد بينت تاريخ ضلال بني إسرائيل وخروجهم من شريعة موسى).

ب- اليهودية:

تغلبت المادة على الروحية عند بنى إسرائيل، ثم مرت بهم أطوار تعرضوا فيها لنقمة الله جزاء خروجهم عن شريعته حتى انقرضوا، وبقى قوم نسبوا إلى إسرائيل عفوًا، وهم ليسوا أصلاً منهم، بل هم قوم تَهوَّدوا، ثم

أصبح الدين قضايا كلامية، وآراء فلسفية؛ فتركوا الأصل وتمسكوا بالفروع وأولوها كما تشتهي أنفسهم. واختلطوا بغيرهم من الأمم واخذوا عنها كثيرًا من العلوم والآداب، واكتسبوا طرقًا جديدة للتفكير، وعبدوا آلهة متعددة: مثل آلهة الآراميين، والكلدانيين، والموابيين أمثال البعل، والبعليم، والعشتاروث.

ترتب على هذه النزعات انقسام اليهود ممثلين في أحبارهم، وعلمائهم إلى قسمين: هما الفريسيون الذين يقال عنهم الربانيون، والصديقيوم وهم المشهورون باسم (اشكنازي). وكل من القسمين له رأي.

رأى الفريسيين: تمسك الفرنسيون بحفظ الشرائع والتنفيذ الحرفي للأصول، وتشددوا في التنفيذ وتمسكوا بالتقاليد، وأخذوا في تفسير الكتب المقدسة مأخذ السلف الصالح، كما اعتقدوا أن حرية اليهود وكيانهم لا يحفظ إلا بالتمسك بالشريعة، وأن عظمتهم لا تسترد إلا بالدين.

رأى الصديقييم: وأما الصديقيوم فكانوا يقولون أن الله خلق الإنسان كفئًا ليتولى إدارة شئون نفسه بنفسه، وأن من العبث انتظار إرادة الله في حين أن الإنسان خلق مختارًا، ويجب أن يحل مشاكله بنفسه، ولا يعرفون شريعة ولا يتمسكون بسنة، ولا يعترفون بتقاليد أو عادات. كما يقولن أن آثار موسى ليس فيها ما يؤيد التمسك بالشريعة، وبذلك ينافون الحقيقة في قولهم.

التلمود: كان من نتيجة الخلاف الديني وتغلب المادة على الروح أن استحدث اليهود كتابًا مقدسًا يختلف عن التوراة سموه باسم التلمود؛ ومعناه المفسر. وأطلقوا على بعضه الآخر اسم (المثناه)، أي الثاني، ويتكون من ستة أسفار تعتبر قاموسًا في الزراعة، والأعياد، والزواج، والدية، والذبائح، والقرابين، والطهارة. وقد جمع التلمود من أصلين: أحدهما يسمى الأورشليمي؛ وهو ما كتب في أورشليم، والآخر كتب في نابلس وسمي النابلسي، والأول أقدم من الثاني. وظل الخلاف خفيفًا وخفيًا حتى آخر عهد سليمان، وفي أول حكم رحبعام بن سليمان احتدم الخلاف، وانقسم اليهود إلى مملكتين: هما يهوذا، وإسرائيل.

الدولتان:

تنقسم الدولتان إلى دولة يهوذا: وهي المؤلفة من سبطي يهوذا وبنيامين. والثانية دولة إسرائيل: وهي التي تتألف من باقي أسباط بني إسرائيل العشرة. وظلت الدولتان تتنافران وتتقاتلان حتى قضت دولة يهوذا على دولة إسرائيل، وعاشت بعدها حوالي خمسمائة سنة. [1]

أقسام اليهود الفقهية:

وكما انقسم اليهود إلى قسمين وهما الفريسيون والصديقيوم، فلابد من الرجوع إلى أصل التسمية، فبعض الفرق سميت بالصديقييم؛ وذلك

([1]) انظر كتاب المؤلف (اليهود من الكتب المقدسة).

لتمسكهم بالنصوص، وتفسيرها حسب هواهم، ومن هذه الفرقة تناسل السامريون والصديقيوم.

والفرقة الثانية أضافت إلى معتقدها تقاليد المشايخ لما يظن فيهم من قداسة، وتسمى (خاسويم)؛ أي الأتقياء، ومنها تناسل الفريسيون والأسينيون.

ثم انقسم اليهود إلى طوائف شتى وفرق متعددة، ولا يزال منهم في عصرنا هذا الربانيون، ويكونون السواد الأعظم من اليهود، وينقسمون إلى السافروديم (العرب)، والاسكنازيم (الأوروبيون). والربانيون يقدسون التوراة والتلمود معًا باعتبار أن التلمود موحى به.

كما يوجد في عصرنا الحالى فرقة (القرائين)، والقراؤون يعدون الربانين ضالين في معتقدهم، وهم لا يقدسون غير التوراة، ويفسرونها معتمدين على الأدلة الفعلية، وباب الاجتهاد مفتوح أمام كل يهودي، ولا يؤمن القراؤون بالتلمود إلا على سبيل أنه مجموعة من آراء المفكرين القدامى يجب اللجوء إليها في بعض الأحوال، لا في الأحوال كلها.

وهكذا يمكن أن نقول أن اليهود ضلوا سواء السبيل وخرجوا عن الجادة وانحرفوا عن أهدافهم التي جذبتهم عنها أهداف أخرى، فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم والشعوب الوثنية الهياكل لأربابها، وقدموا القرابين والذبائح كما كان يقدمها عباد الوثن، ثم زادوا في الإسفاف بالتوحيد حتى

جعلوا الأوثان في بيوتهم وسموها (الطرافين)، وعبدوا البعل وغيره ووضعوها في هيكل سليمان.

ومع التخويف وهزيم النذير بين يدي عذاب شديد، الذي ورد على لسان أنبيائهم المتعاقبين الذين كانوا دائمًا يوجهونهم إلى عبادة الإله الواحد رب الجنود، وأنه القوي المنتقم الجبار الغضوب. وأقوال أنبيائهم تصور لنا الحال التي صارت إليها عقيدة التوحيد والتنزيه إذا ما صارت إلى قوم امتلأت قلوبهم بالمنافع والحرص على الدنيا. فقد أصبحوا لا يبغون رضوان الله خالصًا لوجهه، ولا يعبدون الله مخلصين له الدين، لأنه لا يوجد في نفوسهم، أو عقولهم إلا المادة وما يتفرع منها.

الدين والشريعة في عرف اليهود عبارة عن تشريعات رسمت للمعاملات التي يمكن بها أن يستحلوا أموال غيرهم من الناس والأمم، وطقوس في العبادة هي أيضًا صور من شريعة المعاملات، وصيغ السندات، والديون، والمطالبات، وانتهاك الحرمات، واستعباد الشعوب، واستحلال المحرمات. وفي جملتها يمكن أن يقال أن عبادة اليهود إما للاعتداء، أو زيادة الرزق عن طريق السلب والنهب، وبذلك تجدهم قد انحرفوا عن دينهم، وآخر القول فيهم أنهم أصبحوا الأديليين.